مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 148 - 159 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

المنفى وتسلط الذاكرة في كتابات مليكة مقدم: روايات: رجالي، الممنوعة، المتمردة أنموذجا.

Exile and memory dominance in Malika Mokeddem's writings -My men, forbidden, rebellious novels as a model

د/ جمعة مصاص*
Dr Messas Djemaa
جامعة عباس لغرور- خنشلة/ الجزائر
Abbes Laghrour University, khenchela, Algeria
messasdjema@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/12/24	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

شكل المنفى في مرجعيته هاجسا يقض مضجع الإنسان، يحاصره وينغص عليه وجوده واستكانته لواقعه يحمل في طياته ضربا من الإقصاء والنبذ الدائمين اللذين يظلان يلاحقان المنفيّ ويتربصان به في حلّه وترحاله؛ فتتولد لديه فوبيا من الخوف والقلق والارتباك وعدم القدرة على التصالح مع الذات ولا مع الماضي.

لعل المتتبع لمسار الكتابات السردية الجزائرية المعاصرة، يقر بمدى التنوع والتجديد الذي تغلغل في كيان الكتابة السردية، عبر محاكاة الراهن واسترجاع الماضي والاشتغال على الثنائيات الضدية كصراع الأنا والآخر، المركز والهامش والائتلاف والاختلاف..الخ.

يحاول هذا المقال الموسوم" **المنفى وتسلط الذاكرة في كتابات مليكة مقدم** استقراء وجع المنفى وجراحات الذاكرة في كتابات مليكة مقدم وعبر الإجابة على سؤال جوهري:

-كيف استطاعت **مليكة مقدم** أن تبث وجع المنفى وتعبر عن تسلط جراحات الذاكرة في كتاباتها السردية؟

الكلمات المفتاح : منفى، تسلط، ذاكرة، سرد، مليكة، مقدم

Abstract :

Exile in its reference formed an obsession that disturbs man's sleeping, surrounds him and disturbs his existence and his resignation to his reality. It carries with it a form of permanent exclusion and rejection that continues to haunt the exiled and stalk him in his dissolution and his travels. It generates a phobia of fear, anxiety, confusion and the inability to reconcile neither with oneself nor with the past.

Perhaps the follower of the path of contemporary Algerian narrative writings will acknowledge the extent of diversity and innovation that has permeated the entity of narrative writing through simulating the present and recalling the past, and working on antagonistic

* جمعة مصاص messasdjema@gmail.com

dualities such as the struggle of the ego and the other, the center and the margin, coalition and difference..etc.

This article entitled " Exile and Memory Dominance in Malika Mokeddem's Writings " attempts to extrapolate the pain of exile and wounds of memory in the writings of Malika Mokeddem and by answering a fundamental question:

How was Malika Mokeddem able to transmit the pain of the exiled and express the wounds of memory dominance in her narrative writings?

Keywords: Exile, dominance, memory, narrative, Malika Mokeddem.

تقديم

شكل المنفى في مرجعيته هاجسا يقض مضجع الإنسان، يحاصره وينغص عليه وجوده واستكانته لواقعه ليتوسل بالذاكرة يمنح منها كينونته. وتتفق أغلب المعاجم العربية حول جذر كلمة "منفى"، أي النفي الذي يعني الطرد والإبعاد[1] والإقصاء والتغييب..

أمّا المعاجم الأجنبية، فتحيل كلمة منفى فيها إلى الخروج مطلقا، فالمنفيُّ هو من يُرغَم على ترك بلدته مدة زمنية طويلة، كعقاب له[2] فكل "منفي" يتضمن اغتراباً وغربة بشكل من الأشكال،

فالمنفى في نهاية الأمر اغتراب مكاني(قسري) عن الوطن[3] والمنفى" هو الإقامة الاضطرارية في بلد آخر بسبب القمع والملاحقة أو غياب الحريات بشكل عام"[4] ومن هنا فهو يمثل ملاذا لإعادة ترميم الذات بعد الاهتزازات والاهتراءات التي حدثت فيها على المستوى النفسي والاجتماعي.

المنفى، إذن، إبعاد عن الوطن، ونبذٌ، ونزعٌ للآلفة ومكان مؤقت يقع بين زمكانين؛ أحدهما ماضٍ في الوطن والآخر حاضرٌ يتطلع للمستقبل خارجه..

وهو ما يحاول هذا المقال الموسوم**"وجع المنفى وتسلط الذاكرة في كتابات مليكة مقدم"** أن يبحث فيه من خلال استقراء وجع المنفى وجراحات الذاكرة في كتابات مليكة مقدم وعبر الإجابة على سؤال جوهري:

- كيف استطاعت **مليكة مقدم** أن تبث وجع المنفى وتعبر عن تسلط جراحات الذاكرة في كتاباتها السردية ؟

1- المنفى ضرب من الإقصاء

يمثل المنفى بانفتاحه وخصوبة مناخه الإبداعي والثقافي وتنوع أجناسه فرصة للبوح بما يعتمل في النفس من أفكار متزاحمة تستبد بوجودية الإنسان في عالم موحش يسوده الاغتراب..و«**المنفى هو أحد أكثر الأقدار مدعاة للكآبة**»[5]؛ يحمل في طياته ضربا من الإقصاء والنبذ الدائمين اللذين يظلان يلاحقان المنفيّ ويتربصان به في حلِّه وترحاله؛ فتتولد لديه فوبيا من الخوف والقلق والارتباك وعدم القدرة على التصالح مع الذات ولا مع

الماضي، فتغدو أيامه مجرد أرقام متزاحمة ومتسارعة في سلسلة عمره الزمني، تغشاها المرارة، فيعيش حياة غير طبيعية، تحت وطأة هواجس تقض مضجعه.

فهناك على الدوام، علاقة قائمة بين فعل التهديد بالنفي، وبين ردة الفعل التي تتلبس الشخص المعني بالرعب، مخافة أن يغدو واحداً من المجذومين، وهو ما يعني أن يعيش الشخص وضعية النبذ الاجتماعية والمعنوية[6] حيث يعيش المنفيُّ على الدوام حالةَ وسطٍ دائمة (البين/ بين) وهي حالة تتركه- مثلما يقول إدوارد سعيد- غير قادر على الاندماج والانصهار في المحيط الجديد؛ ولا يمكنه التخلص من تبعات بيئته الماضية.. يعيش في تضايق مستمر، لأن أنصاف التداخلات، وأنصاف الانفصالات تؤلمه وتضايقه، وهو مصاب بهوس الحنين والحلم؛ وإلى ذلك فهو عاطفي من ناحية، ومقلد حاذق لا يعلم به أحد، من ناحية أخرى، يعيش حالة من الاغتراب.

والاغتراب ليس مرضا أو حالة طارئة، إنما هو سمة جوهرية تلازم الوجود الإنساني، فهو ظاهرة عامة يمكن ملاحظتها في مختلف النظم والثقافات والمجتمعات. ويحدث الاغتراب حين يعي الإنسان أن لامكان له في المكان الذي يعيشه حتى وإن كان وطنه، فيأتي وجع البوح وتسلط الذاكرة ليحاصر الإنسان ويسيطر عليه

لعل المتتبع لمسار الكتابات السردية الجزائرية المعاصرة، يقر بمدى التنوع والتجديد الذي تغلغل في كيان الكتابة السردية، عبر محاكاة الراهن واسترجاع الماضي والاشتغال على الثنائيات الضدية كصراع الأنا والآخر، المركز والهامش والائتلاف والاختلاف..الخ

وهو ما نلمسه في كتابات**"مليكة مقدم"**؛ أين غدا الزمن النفسي عاكسا للوجع الذي يغلف كتابات المنفى عندها، عبر تداعيات من الهوس والاكتئاب وعرض للذكريات المؤلمة التي ترواد الشخصية وتحاصرها في منفاها..

2- المنفى وفضاءات التذكر

تستثير ثيمة المنفى مخيلة الكثير من الكتاب إما لأنهم عاشوا الاضطهاد والاغتراب، وإما لأنهم شعروا بالسخط وانعدام الحرية؛ فآثروا مغادرة بلدانهم نحو أفق من الحرية وسعة العيش وكان اختيارهم بوعي ومسؤولية.

إن رواية المنفى هي رواية حنين جارف إلى الوطن إلى التعبير عن أفكار جديدة عن الانفتاح والانعتاق ليست متاحة في البلد الأم، هي فرصة للتخلص من وطء الذاكرة وتسلطها عبر رؤية مستقلة غير خاضعة للضغوط السياسية والاجتماعية والأخلاقية والدينية.

تتوزع وقائع الحكي وأحداثه في روايات **مليكة مقدم** (**رجالي، الممنوعة، المتمردة**) على عدد من الفضاءات التي ضمت طفولة الكاتبة/الساردة وشبابها، ومن ثمّ تميزت بمرجعها الواقعي الذي أحاط الخطاب السردي البوحي بسمة الصدق والمصداقية، وأقام وشائج التلاحم والتقارب بالمتلقي الجزائري خاصة لأنه يعرف تلك الأماكن والفضاءات التي جعلتها الكاتبة مسرحا للأحداث.

نزع الاتجاه الروائي للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية• إلى الواقعية الانتقادية في محاولة لترميم وإعادة بناء الذات، بركوب موجة التجديد والتوسل بآليات من «**الخيارات الواعية المتعمدة التي تقلق طمأنينة القارئ المعتاد على الحبكة التقليدية والشخصيات الواقعية ولكنها تقوم قبل كل شيء على التجريب الذي لا يعرف الكاتب نتيجته إلا بعد انتهاء الرواية، ولا يعرف مصيره إلا بعد أن يحكم عليه القرّاء**»[7] أين يتناول الكاتب في كتابته السردية مواضيع ومضامين جديدة تنأى عن الاتجاه التقليدي، وعن الإغراق في المثالية وتوجيه الأدب توجيها إصلاحيا.

تأتي كتابات **مليكة مقدم**• لتفجر اللغة وتنتهك الأعراف، وتعكس هواجس القلق وهواجم اللاستقرار على مستوى الفرد والمجتمع، في ظل منظومة هشة لا تزال ترزح تحت قيود الاستعباد والتبعية الاستعمارية في محاولة لتتبع تسلط الذاكرة ، بالاتِّكاء على استرجاع الماضي واستذكاره..

تعلن **مليكة مقدم** تمردها في جلِّ كتاباتها، والتمرد في جوهره هو سوء تكيّف المرء مع قوانين المجتمع و« **ضعف القدرة على التكيف الاجتماعي نتيجة التضارب والتصادم بين القيم والهروب من توتر سوء التكيف مع معايير المجتمع الذي يعيش فيه**»[8] .

ومن هنا يعتقد الفرد أن التمرد هو السلوك الأنجح الذي يؤدي إلى تحقيق الذات أولا والراحة النفسية ثانيا، وبالمقابل يرى آخرون ومنهم الباحث السوسيولوجي محمد راضي جعفر أن التمرد ينتج عن شعور الإنسان بالاغتراب وهو « **حالة إنسانية نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد وتجعله غريبا بعيدا عن الواقع الاجتماعي**».[9]

تكشف **مليكة مقدم** في كتاباتها عن شخصية متمردة، ثائرة، رافضة للتقاليد والأعراف، ضاربة بالقوانين الاجتماعية والأخلاقية عرض الحائط، « **وحتى ترضى الأنا الهامشية وتزيل الشعور بالدونية، أقامت علاقات حميمية خارج مؤسسة الزواج أثناء دراستها الجامعية**»[10]، ثم انتقلت إلى باريس للعمل كطبيبة لينتهي بها المطاف امرأة وحيدة تعاني العزلة والاغتراب والحنين إلى الصحراء التي كرهتها، تقول: « **لم أكن أتصور أبدا أنني استطيع العودة يوما إلى هذه المنطقة ومع ذلك لم ابتعد عنها بشكل نهائي أبدا كل ما فعلته هو أنني ألحقت الصحراء والحزن الشديد إلى جسمي المهجر وبقيت مجزأة بينهما**»[11]، إنها تلحق الحزن بالصحراء كمعادل موضوعي لها ، هذه البيئة التي ولدت فيها وكرهتها لقساوة طبيعتها وانكماش أهلها على بعضهم، أدركت ذلك حين درست الطب في مدينة وهران التي تضجُّ بالحياة والصخب.. فشتان بين بيئتها الصحراوية والبيئة الجديدة التي اندمجت في رحابها ووجدت فيها حريتها..

وتعود الذاكرة بالكاتبة/الساردة لمرحلة الطفولة، أين يبدأ الصراع ووعي الاختلاف تقول في نفسها:«**لم أنس أن أطفال بلادي يملكون طفولة مريضة، منحلة، لم أنس أصواتهم الشفافة التي لا ترن إلا بأغلظ الفواحش، لم أنس أنهم، ومنذ الطفولة المبكرة، لا يكتسي الجنس الآخر في رغباتهم إلا صورة شبح مبهم**

يهددهم، لم انس أنهم يضربون الكلاب ضربا مبرحا، لم انس أنهم عدوانيون لأنهم لم يتعلموا المداعبة ولو بالنظر فقط، لأنهم لم يتعلموا الحب، نعم، لم أنس ولكن الذاكرة لا تقي ضد شيء».[12]

تكرر **مليكة مقدمة** عبارة لم أنس ست مرات متتالية، في نغم حزين ورتيب والتكرار« حالة نفسية معينة عند مستعمله، فقد يأتي التكرار للتنبيه على الأهمية، وكأنه يطلب أن نضع أكثر من خط تحت هذا المكرر وربما يأتي ليزيد في درجة اللون، أو الألم، أو الفرح، أو الخطر، أو الجمال، أو القبـــح إلى آخر هذه الأشياء التي تتأبى على الحصر»[13]، تداعت فيها طفولتها الهشة، ومر خيالها أمام ناظريها، وأدركت الآن فقط، وهي تعيش الاغتراب النفسي والجسدي كيف يضيع الطفل الصغير ويحرم من طفولته. إنها أمام الذاكرة التي لاتقي ضد شيء، لأنها ذاكرة مخترقة ومفتوحة بشكل متداع مع الماضي.

3-السيرة الذاتية بين المراوغة والكينونة

في روايات **مليكة مقدم(رجالي، الممنوعة، المتمردة)**، يبرز بشكل جلي أن الكاتبة/الساردة هي ذاتها **مليكة مقدم**، بالنظر للمعطيات التي تبوح بها، ويظهر أننا أمام نوع مغامر من الأدب هو أدب البوح أو أدب الاعتراف، والذي كان يظهر في الأدب العربي على استحياء بين حين وآخر، لما يتطلبه من شجاعة تمكّن الكاتب من مواجهة المجتمع، ولكنه شقّ طريقه بجرأة مع موجة التحرر التي اعتنقتها المرأة العربية متأثرة بمثيلتها في الغرب.

توصف السيرة الذاتية بأنها (جنس مراوغ)، فهي تكون حينا رواية- قصة-صورة-وصف-حكي- تاريخ- مذكرات، وكما يلاحظ أنها جميعا تنضوي في دائرة السرد.

استغرق نضج فن السيرة الذاتية بوصفها جنسا أدبيا ردحا من الزمن حيث« **تشكلت بفعل سنن المثاقفة والمعايشة المعرفيتين اللتين نشأتا في العصر العباسي الذي اتّسم بالخصوبـــة والانفتاح الثقافيين من جهـة، وكان موّارًا بالأحـداث والتحوّلات الثقافيـة الكبرى من جهة أخرى».**"[14]

ويرى **شوقي ضيف** أن صور الترجمة الشخصية عند العرب فن مستحدث، قلّدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية التي قرأوا آثارها، واستدخلوا مفاهيمها وبخاصة؛ الفارسية، واليونانية والهندية[15]، ولكنها في العصر الحديث تواشجت مع الأجناس الأدبية إلى حد التماهي، وعليه لا يمكننا « **تجاوز الصيغ الإبداعية التي كانت تقترب، أو تكاد، من السيرة الذاتية هدفا وغاية، شكلا ورؤية؛ فهناك العديد من الأجناس الأدبية التي توافرت على معطيات السيرة الذاتية بمعناها الواسع، فأدب المجلس، وأدب الرحلة، والحكايات الأدبية، والقصص، والأخبار، والمسامرات، والمنافرات، والمرويات السردية، تحفـــل بملامح فنية تجعلـــها تقترب من جنس السيرة الذاتيـة بعد معالجتها فنيـا ونقديـــاً»**[16]، ولكنها أهملت لأنها لم تقع ضمن اهتمام الذائقة النقدية.

يتأرجح زمن السيرة بين ثلاثة أقطاب تتواشج في بنية سردية متكاملة:

- زمن ماضٍ مستعاد، وهو زمن الأحداث.

- زمن حاضر قلق ومتوتر وهو زمن الكتابة (زمن حاضر يتم فيه الاسترجاع).
- زمن غير متعين مرتبط بوعي المتلقي/ القارئ عند إنجاز فعل القراءة، (ويتكون من زمنين: **زمن القراءة** وهو غير متعين يشرئب نحو المستقبل، **وزمن الكتابة** وهو الزمن الآني المستمر).

ويتمظهر الأنا في رواية السيرة الذاتية في ثلاثة محاور:

- الأنا المؤلف الحقيقي بشخصيته الواقعية وبسماته.
- الأنا السارد/ الراوي الذي يتحكم في آلية السرد ويوجهها توجيها ذاتيا.
- الأنا الشخصية التي تعرض سيرتها وتحدد ضمن العمل الروائي، وهو ما يفترض أحياناً تطابقا بين المؤلف والشخصية.

4- وجع المنفى وبوح الأنا

يقف الروائي أمام عتبات الأنا وقفة الطفل؛ الذي ينطق باسمه حين يتكلم على ذاته، فيوقع بوحه وآهاته، ويتلمس طريقه عبر تداعيات الذاكرة التي تحاصره بوطأة الذكريات؛ والأنا« **عندما تتصدر الكلام لها جلبة كبر وخيلاء، وتكون بؤرة تشع منها إرادة فردانية ورغبة بالكمال وهناك قرينة تلازمها هي العزلة والوحدة**»[17]، تشكل بدورها حقلا بحثيا يوغل فيه القارئ، ليكتشف هوية السارد استنادا إلى وقائع لغوية (الحروف، التراكيب..) وإلى وقائع غير لغوية (الحوادث الاجتماعية، ملابسات المكان والزمان ..).

يستبد وجع المنفى ويطغى تسلط الذاكرة في البنية السردية في كتابات **مليكة مقدم**؛ أين يغدو المنفى سوطا يجلد الكاتبة/ الساردة كلما أرخت العنان لذاكرتها الموجوعة؛ فيحول ذلك دون انعتاقها واندماجها في المجتمع الجديد الذي تعيش فيه وهو ما يتجلى في (روايات: رجالي، الممنوعة، المتمردة).

فالإبعاد والنفي كانا يمثلان أقسى وأقصى عقوبة يمكن أن تطال الفرد، لأنه يعي جيّدا أن نفيه سيعيده إلى نقطة الصفر، سيحرمه من أحلى سنوات العمر، بل يحول دون أن يعيش في مكانه الذي ألفه وتربى فيه.. فقط طعم المرارة وتسلط الذاكرة لا يكاد يجد منها فكاكا.

لا نبالغ إذا قلنا أن الكتابة السردية في روايات **مليكة مقدم**، تترجم سيرة ذاتية للكاتبة في حدّ ذاتها، سيرة تتماز بالتشتت العاطفي والضياع النفسي، والقهر الاجتماعي يغذيها الاغتراب والمنفى اللذان يعصفان بكيانها.. صحيح هو منفى اختياري إرادي، اختارته الكاتبة/ الساردة لكنه موجع، كيف لا؛ وهي تعيش وحيدة بلا أهل، متنكرة للصحراء وعاداتها وتقاليدها، وهو الأمر الذي استنكره منها والدها خاصة بعد تهجمها في كتاباتها على الإسلام ومجاهرتها بالإلحاد، فرفض رؤيتها وألغى وجودها من حياته، وهو ما تترجمه بطلتها "سلطانة" في رواية الممنوعة(1993)، التي عاشت حياة قاسية مليئة بالخيبات في مجتمع ذكوري، يصادر حقوق المرأة ويستأثر بها؛ تقول الكاتبة/الساردة مخاطبة والدها:« **فارقتك لأتعلم الحرية، الحرية في عشق**

الرجال، فتلك الحرية تعني لديك العار والخطيئة والفسق يا أبي، تلك الحياة تبقى محرمة عليك سوف أكتبها حتى النهاية»[18]، في هذا القول تتبدى جرأة الكاتبة/الساردة في مواجهة الآخر المتمثل في والدها، وهو كلام صادم في مجتمع محافظ كالمجتمع الصحراوي، تجاهر فيه الكاتبة بعشق الرجال والحرية في ذلك، تقول: « **فنحن كثيرات ممن جعلنا من الحق والمساواة والحرية والحب، واختيار علاقاتنا الجنسية، ديانتنا الوحيدة، فأي وسيلة أفضل من مواصلة التحدي لهم بالكتابة عن الرجال».**[19]

تبدو كلمات مليكة مقدم وكأنها شعار لحركة نسوية، ومرد ذلك هو تشبعها بالثقافة الأوروبية واستعدادها للانغماس فيها .. ولكن تجد نفسها بعد سنوات من جلد الذات والتنصل من كل القيود؛ وحيدة كئيبة محاصرة بالمنفى والغياب والاغتراب عن الذات، تقول:« **تتأرجح السنوات، تتكدس في الحاضر داخل زوابع الضياء..يكاد قلبي يترنح، لا تبعد واحتي إلا بكيلومترات قليلة، قصر من شراب محاط بالكثبان والنخيل..تكسر الزمان تحت ضغط الهروب، القطيعة، الغياب والمنفى"** إنها تقر بالمنفى والغياب والقطيعة وكلها ثيمات للاغتراب والتمزق حيث يستبد بها الحنين وتحاصرها الذكريات في المنفى؛ تقول مستحضرة أيام الطفولة والبراءة :" **أنهض من سرير، وأهجر المضجع الجماعي، أهرب من همهماته، وبخطى حذرة، ألتحق بسرير جدتي في المطبخ، دخولي المختلس وسط استغراقها في النوم لم يعد يرعبها قط، تفتح لي ذراعيها المعتادتين وتتناغى ببعض كلمات التشجيع.»**[20]

هذا الاستحضار يقابله واقع مفجوع وموجوع مغشيٌّ بالكآبة والوحدة حين تعلن الكاتبة/الساردة« **هذا الصباح أنا وحيدة في السرير، وحيدة هذا المساء في رائحتنا »**[21]

تعتمد **مليكة مقدم** في كتاباتها السردية على آلية البوح والاعتراف بما تنوء به ذاتها التي غدت عاجزة عن تحمل وطأة الاغتراب والنفي وتسلط الذاكرة، وجل كتبها تقترب من جنس السيرة الذاتية، التي تتوسل بها الكاتبة/الساردة لتعرض تجربتها الذاتية على المتلقي بعد أن وصلت مرحلة النضج وغدت كتلة من القلق لا تستطيع الفكاك منها إلا بالكتابة ومساءلة الذات «**هذه المساءلة للذات تعرض لنا الشخصية الرئيسية/الكاتبة في رواية رجالي عن ذاتها المتألمة عن ذلك التهميش والتمييز الذي تعرضت له لا لشيء سوى تلك التاء التي تلازمها والتي تسميها "فضيلة الفاروق" تاء الخجل**»[22]، تظهر الكتابة عند **مليكة مقدم** عنصرا حيويا هاما كالهواء الذي تتنفسه والماء الذي تشربه.

يتعمق الإحساس بالتهميش والدونية والصراع مع الآخر –والدها-، هذا الآخر الذي فتحت عيناها على قسوته، وتمييزه بينها وبين أخوتها الذكور، فكم أوجعها صراخه في وجه أمها« **أبنائـــي وبناتك»**[23]، وحين تتذكر أنها تمنت الموت يوما ما، تقول:«**انتابتني مرة الرغبة بالموت، تأملت حزنك بسبب وفاة شقيق لي أصغر مني، تساءلت عن شعورك لو رحلت أنا عن هذه الدنيا»**[24].. إنها تحتج على هذه الازدواجية في المعاملة، لكن في صمت ويوما بعد يوم يتعالى حاجز الكره والتحدي والانتقام..

وتتسلط الذاكرة وتعلي من وتيرة الشجن الذي يقوض كيانها، ويعيدها إلى الماضي، هي عودة لأجل الكتابة في الحاضر، واستفزاز الذاكرة كمكون هام في تشييد واقع الكاتبة المراوح للمنفى والاغتراب، فيشتد الحنين إلى الصحراء« **صوت الصحراء الذي يأتي أحيانا رتيبا، وأحيانا أخرى مملوسا، وكما هو حال الصحراء، فأنا لا أملك سوى كلمات، وسوى ذاكرتها المرصعة من أجل تخطي الهاوية»**[25]

ويستمر بوح وتسلط ذاكرة الكاتبة/ الساردة حين تربك القارئ بوصف واستعراض تصرفاتها المنافية للعادات والتقاليد والتعاليم الدينية؛ فهي لا تتورع عن أكل رمضان، ولا عن التدخين أمام الملأ بل تفعل ذلك بلذة وانتصار، تقول:«**أشعر بالنشوة لأنني لست مضطرة بعد اليوم أن أتناول الطعام على شرفة غرفتي في السكن الجامعي خلال شهر رمضان، حين يكون الطعام انتصارا في بعض المعارك، أتلذذ به في الجزائر، شرعت أدخن في المستشفى، وفي المدرجات، وفي المطاعم بدافع الوقاحة، ليعلم الجميع أن لا شيء محظور عليّ، لأقول سحقا لكل القيود، فاستهلاك كل الحريات أخيرا نشوة لا مثيل لها»**[26]

لقد وجدت الكاتبة/الساردة في الكتابة متنفسا لتقول ما تشاء دون خوف أو حياء، فهي تعلن أنها غدت ملحدة منذ بلغت الخامسة عشر، تقول:« **أنا ملحدة منذ بلغت الخامسة عشر، كم يريحني أن استطيع أخيرا إعلان ذلك والمجاهرة به، فذلك الاعتراف محفوف بالمخاطر في مجتمع من أقل المجتمعات تسامحا»**[27] إنها تقوض كل أعراف المنظومة الدينية و تنسلخ من جلباب أسرتها المحافظة بكلمة "ملحدة"، ولم تقف عند عتبات البوح، فحسب، بل ذهبت إلى التصريح بعلاقاتها الغرامية وتحررها بلغة مكشوفة وفي تحدٍ صارخ للمنظومة الاجتماعية التي لاتقبل أن يصدر ذلك من المرأة على وجه الخصوص «**فالمبدع هنا امرأة تكتب عن نفسها، عن لقائها بالآخر، عن شبقها وحرمانها المضاجعة ولونها، هي امرأة تتقمص دور الكتابة، فتستنطق الجسد، وتكشف عن مفرداته، في لغة خاصة، هي لغة حقيقية»** [28]، دون خوف أو وجل ودو أي اعتبار للأعراف والعادات والتقاليد.

لم تقف مليكة مقدم عند عتبات البوح، فحسب، بل ذهبت إلى التصريح بعلاقاتها الغرامية وتحررها بلغة مكشوفة وفي تحدٍ صارخ للمنظومة الاجتماعية التي لاتقبل أن يصدر ذلك من المرأة على وجه الخصوص «**فالمبدع هنا امرأة تكتب عن نفسها، عن لقائها بالآخر، عن شبقها وحرمانها المضاجعة ولونها، هي امرأة تتقمص دور الكتابة، فتستنطق الجسد، وتكشف عن مفرداته، في لغة خاصة، هي لغة حقيقية»** [29]، في جلد ذاتي يعلي من درجة الألم الذي يقوض كيانها وينتهكه كاشفا عن استبداد فعل الكتابة ليكشف عن وجع المنفى في كتاباتها من خلال البوح الذاتي، وما يكتنزه من حمولات نفسية أرهقت ذاتها، تتأرجح بين الاستكانة للوجع الذي يتربص بها وبين محاصرة الذكريات لها ومرورها أمام عينيها في شريط لا حدود له.

وفي الختام لنا أن نقول أن:

- ✓ كتابات **مليكة مقدم** تنحو -في جانب منها -إلى أدب الاعتراف وهو أدب وافد على ثقافتنا العربية عن طريق الغرب.
- ✓ رواية المنفى هي رواية الحنين الجارف إلى الوطن الذي يسكن الكاتبة/الساردة
- ✓ المنفى شكل سوطا يجلد الكاتبة/ الساردة وان قرار البوح فعل اضطراري أوجدته رغبة عارمة في اختراق المألوف.
- ✓ الذاكرة الموجوعة تحول دون الانعتاق والاندماج.
- ✓ تسلط الذاكرة يوقع الكاتبة/الساردة في مأزق الخروج عن المنظومة الاجتماعية ويدفعها إلى نقطة اللاعودة.
- ✓ التوسل بالكتابة لنسيان الحاضر المأزوم واسترجاع الماضي المربك بالذكريات المؤلمة.
- ✓ اعتبار الكتابة عملية علاج للذات والتئام لجراح المنفى.

هوامش:

[1] ورد في المعجم الوسيط أن النفي عقوبة بإبعاد شخص خارج حدود بلاده لفترة غير محدودة، وقد كانت عقوبة النفي مقررة لبعض الجرائم في التشريع الجنائي المصري قبل سنة1904، ثمّ ألغيت منذ ذلك التاريخ. وقد نصت الدساتير الحديثة على تحريم إبعاد المواطن عن أراضي وطنه أو منعه من العودة إليها. ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، طبعة مصورة في مجلد واحد(د، ت) مادة نفى، ص ص 980، 981 .

[2] ينظر: Édouard Saïd Exile and the Narrative Imagination Yale . Michael Seidel:Universitypress ; New Harven and London,(1986). P.

وفي الفرنسية نجد دوال النفي تبدأ بالمقطع EX وتعني كلها الإبعاد، التغرُّب، الهجرة الجماعية..الخ.

[3] محمد الشحات: سرديات المنفى، الرواية العربية بعد 1967 (2006) ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، (عمان) –الأردن، ط1، ص34.

[4] علي ناصر كنانه : المنفى الشعري العراقي(2012)، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت) لبنان، ص 5.

[5] إدوارد سعيد: صور المثقف، محاضرات ريت سنة 1993 (1997)، نقله إلى العربية، غسان غصن، راجعته منى أنيس، دار النهار، (بيروت)، ط3، ص ص 57،59.

[6] ينظر: كتاب إدوارد سعيد Édouard Saïd :

Des intellectuels et du Pouvoir (representations of the intellectual) , (1996), traduction française par Paul CHEMLA, (Paris), Seuil,p 63.

• تمييزا له عن الأدب الجزائري المكتوب بالعربية.

[7]لطيف زيتوني: التجريب في الإبداع الروائي، (2008) ضمن كتاب: الرواية العربية، ممكنات السرد، الجزء الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،(الكويت)، ص 120.

•مليكة مقدم كاتبة جزائرية تكتب باللغة الفرنسية، ولدت في 5اكتوبر1949 في القنادسة، ولاية بشار، درست طب الكلى في جامعة وهران، هي مقيمة الآن في مدينة **مونبوليي** في فرنسا، تكتب باللغة الفرنسية، من المدافعات الشرسات على المرأة؛ أصدرت الروايات التالية: قرن الجراد (1992)، الممنوعة (1993)، أحلام وقتلة (1995)، الرجال الذين يمشون(1997)، ليلة الصدع (1998) وانخطاف العصاة (2003)، المتمردة (2004)، رجالي(2006)، أدين بكل شيء للنسيان(2011).

[8]ملاك جرجس، "تمرد الشباب الحاضر"، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت)العدد 178، سبتمبر1972، ص10.

[9]محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر،(2013)، دار المعتز للنشر والتوزيع، (عمان)، الأردن، ط1، ص17.

[10]هدى عماري، "تشظي الذات بين المركز والهامش في الرواية النسوية الجزائرية.- رواية رجالي لمليكة مقدم أنموذجا"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي (تامنراست) ،الجزائر،المجلد 09، العدد 5، السنة 2020، ص601.

[11]مليكة مقدم : الممنوعة، (2008)، تر محمد ساري، منشورات الاختلاف، (الجزائر)، ط1، ص7.

[12]المصدر نفسه، ص12.

[13] محمد ابنيان وسهيل خصاونة وفرحان القضاة: "أثر التكرار في شعر الصاحب بن عباد". مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية. جامعة اليرموك، (اربد)، الأردن المجلد8، العدد 1، 2011، ص 166.

[14]هيثم سرحان، "خطاب السيرة بين كفاية الأشعار وجناية الأخبار قراءة في تجربة أبي نواس"، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، 2008 بعنوان (تداخل الأجناس الأدبية)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، اربد- الأردن، بتاريخ 22-24 جويلية، 2008، / نشر في المجلد الثاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص849.

[15]ينظر: شوقي ضيف: الترجمة الشخصية،(1987)، ط4، سلسلة فنون الأدب العربي(الفن القصصي)، دار المعارف، (القاهرة) ، ص125.

[16] هيثم سرحان:خطاب السيرة بين كفاية الأشعار وجناية الأخبار قراءة في تجربة أبي نواس، ص 849.

[17]صالح، زامل: تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي(2003)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت). لبنان، ط1، ص 40.

[18]مليكة مقدم: رجالي، (2007)، ترجمة نهلة بيضون، دار الفارابي، (بيروت)- لبنان، ط1، ص20.

[19] المصدر نفسه، ص 21.

[20]المصدر نفسه ، ص15.

[21]مليكة مقدم: المتمردة، (2004)، المركز الثقافي العربي، (بيروت) –لبنان، ط1، ص9.

[22]ليدية منصوري، "خطاب مليكة مقدّم بين الاعتراف والبوح في رواية ''رجالي'' " رأي اليوم، صحيفة عربية مستقلة، 16جوان، 2020، تمت الزيارة يوم 2021/01/20 متوفر على الموقع
https://www.raialyoum.com/index.php/

[23]مليكة مقدم: رجالي، ص11.

[24]مليكة مقدم: رجالي، ص13،14.

[25] مليكة مقدم: المتمردة، ص21.

[26] مليكة مقدم: رجالي، ص 71.

[27] مليكة مقدم: رجالي، ص71.

[28] ينظر: عبد العاطي كيوان: أدب الجسد، بين الفن والإسفاف- دراسة في السرد النسائي (،2003)، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، (مصر)، ط1، ص57.

[29] ينظر: عبد العاطي كيوان: أدب الجسد، بين الفن والإسفاف- دراسة في السرد النسائي (،2003)، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، (مصر)، ط1، ص57.

1- إدوارد سعيد: صور المثقف، محاضرات ريت سنة 1993، (1997) ، نقله إلى العربية، غسان غصن، راجعته منى أنيس، دار النهار، (بيروت)، ط3.
2- شوقي ضيف: الترجمة الشخصية،(1987)، ط4، سلسلة فنون الأدب العربي(الفن القصصي)، دار المعارف، (القاهرة).
3- صالح، زامل: تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي(2003)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت). لبنان، ط1.
4- عبد العاطي كيوان: أدب الجسد، بين الفن والإسفاف- دراسة في السرد النسائي (،2003)، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، (مصر)، ط1.
5- لطيف زيتوني: التجريب في الإبداع الروائي، (2008) ضمن كتاب: الرواية العربية، ممكنات السرد، الجزء الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،(الكويت).

6- ليدية منصوري: خطاب مليكة مقدّم بين الاعتراف والبوح في رواية "رجالي" رأي اليوم، صحيفة عربية مستقلة، 16جوان، 2020، تمت الزيارة يوم 2021/01/20 متوفر على الموقع https://www.raialyoum.com/index.php/

7- محمد ابنيان وسهيل خصاونة وفرحان القضاة: "أثر التكرار في شعر الصاحب بن عباد". مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية. جامعة اليرموك، (اربد)، الأردن المجلد8، العدد 1، 2011.

8- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر،(2013)، دار المعتز للنشر والتوزيع، (عمان)، الأردن، ط1.

9- محمد الشحات: سرديات المنفى، الرواية العربية بعد 1967 (2006) ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، (عمان) – الأردن، ط1.

10- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، طبعة مصورة في مجلد واحد(د، ت) مادة نفى.

11- ملاك جرجس، "تمرد الشباب الحاضر"، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت)العدد 178، سبتمبر1972.

12- مليكة مقدم: رجالي، (2007)، ترجمة نهلة بيضون، دار الفارابي، (بيروت)- لبنان، ط1.

13- مليكة مقدم : الممنوعة، (2008)، تر محمد ساري، منشورات الاختلاف، (الجزائر)، ط1.

14- مليكة مقدم: المتمردة، (2004)، المركز الثقافي العربي، (بيروت) –لبنان، ط1.

15- هدى عماري، "تشظي الذات بين المركز والهامش في الرواية النسوية الجزائرية.- رواية رجالي لمليكة مقدم أنموذجا"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي (تامنراست) ،الجزائر،المجلد 09، العدد 5، السنة 2020، ص601.هيثم سرحان:خطاب السيرة بين كفاية الأشعار وجناية الأخبار قراءة في تجربة أبي نواس، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، 2008 الموسوم تداخل الأجناس الأدبية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، اربد- الأردن، المجلد الثاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009.

16- Édouard Saïd Des intellectuels et du Pouvoir (representations of the intellectual),(1996) , traduction française par Paul CHEMLA, (Paris), Seuil.

17- Édouard Saïd Exile and the Narrative Imagination(1986), Yale University press ; New Harven and London.